عام

مسألة الترجمة في الفكر العربي الإسلامي

تـفـروت لـحسن

باحث مغربي

قسم العلوم الإنسانية والفلسفة

جميع الحقوق محفوظة

مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث

All rights reserved

Mominoun Without Borders

يتأسس اختيار موضوع الترجمة في الفكر العربي الإسلامي على المسلمتين التاليتين:

1- من المعلوم تاريخيًا، أن هذا الفكر شهد ممارسة منظمة للترجمة، من لغات مختلفة ولموضوعات متنوعة.

2- إن الترجمة، خطابًا شبه نظري، حظيت باهتمام بعض المفكرين القدامى الذين سعوا إلى حدها وتقويم مستواها.

إذا كانت هاتان الواقعتان تفترضان النظر في مسائلها؛ أي الترجمة، فإنها مازالت لم تتعرض للتحليل المدقق الذي يمكّن من كشف جوانبها المغمورة، وذلك لأن الدراسات التي تناولتها، قديمًا وحديثًا، إما غلب عليها التصور التاريخي[1]، كالتمييز بين الأوائل والأواخر من المترجمين، أو اعتمدت المنهج الوصفي[2]، كالتعريف بالموضوعات المترجمة ورواية الكيفية التي تمت بها عملية النقل في البيئة العربية الإسلامية، أو انطلقت من توجه تأويلي[3]، فراحت تبحث عن الشواهد لتبرير مشروعية الترجمة.

صحيح أن عملاً من هذا القبيل له أهميته، لكنه غير كافٍ، علما أن حظ الترجمة العربية الإسلامية من تاريخ ونظريات الترجمة في الغرب كان ومازال هو الإهمال[4]. ولهذا، فالترجمة العربية من حيث كونها ممارسةً وإنتاجًا نظريًا تتطلب مزيدًا التفصيل والإحكام والضبط.

إن مطلوب هذا العمل هو إخراج الترجمة في الفكر العربي الإسلامي من حيز العموم إلى الخصوص وتقييدها بجهة المراتب وتصنيفها حسب سلم معين. أما العموم الذي تعاني منه الترجمة، فمرده إلى ازدواج هذين المعطيين:

أ – يختلف في هذه الترجمة المترجَم عنه، ويختلف مستوى المترجَم إليه اختلافًا يتناسب مع تمايز المترجمين.

ب – إن ترجمة الترجمة أو الكلام عن الترجمة العربية الإسلامية، إن كان لا يرقى إلى مستوى خطاب التنظير، فقد تميز بكونه يورد في حدها أمورًا مجملة غير مفصلة ولا مفسرة. فنصادف في تعريفها مثلاً أن

[1]- فاخوري، عادل، **منطق العرب من وجهة نظر المنطق الحديث**، بيروت، دار الطليعة، ط1، 1980، ص ص 20 و34

[2]- ابن النديم، **الفهرست**، مصر، المطبعة الرحمانية، د.ت.

[3]- أمين، أحمد، **ضحى الإسلام**، بيروت، دار الكتاب العربي، ط10، د.ت، ج 1، ص 253

[4]- الجابري، محمد عابد، **تكوين العقل العربي**، بيروت، دار الطليعة، 1984، ص 223

"التَرجمان (بفتح التاء) والتُرجمان(بضم التاء): الناقل الكلام من لغة إلى أخرى"[5] و"الترجمة هي نقل النص من بيئة إلى أخرى"[6]. وهكذا، فإن تعريف الترجمة بألفاظ أغمض وأشكل من المحدود يفضي على الدور والتسلسل. وبما أن حد الترجمة العربية الإسلامية يكون بلوازمها؛ أي المعنى والكلام والفهم...إلخ، والتي تتجزأ إلى مراتب وتترتب حسب سلّم، فإنه يلزم أن يكون الملزوم والمعرف؛ أي الترجمة، مرتباً حسب سلم كذلك، لتصبح لدينا مراتب للترجمة وليس ترجمة واحدة.

ومعلوم أن الترجمة العربية الإسلامية، في تعاملها مع ترجمة الأورغانون الأرسطي[7]، ولدت مراتب ثلاث؛ أولها:

1- الـنـقـل:

النقلُ والترجمةُ مفهومان متصاحبان ومتجاوران في الفكر العربي الإسلامي؛ فالنسخ المنقولة تحمل عبارات، مثل "كتاب أرسطوطاليس بنقل فلان الذي نقله من نسخة فلان"[8]، كما أن المترجمين عرفوا بالنقلة، بل وجدت أسماء لقبت بالناقل، كحنين الناقل، بل إن الترجمة تعرّف بأنها نقل الكلام أو نقل المعنى.[9] هذا الحضورُ الجليُّ لمفهوم النقل سواء في ممارسة الترجمة أم في حدّها وتعريفها هو مبرر اعتماد "النقل" عرفًا لغويًا مقترحًا من بين مراتب الترجمة العربية الإسلامية. فما المقصود بالنقل؟ وما هي آلياته؟

حين يقومُ الناقلُ بالترجمة، فإنه يسلم بمبدأ التكافؤ الدلالي بين اللغات، ومن ثم يحاول أن تكون جميع العناصر المكونة للمعاني في النص المبتدأ حاضرة في النص المنتهي دون زيادة عناصر خارجة عن الأصل. ومعلوم أن النصين يكونان متكافئين دلاليًا، إذا كانت ألفاظ وجمل النص الأول تكافئ ألفاظ وجمل النص الثاني دلاليًا، ناهيك عن التكافؤ على مستوى الأساليب[10]. نفهمُ من هذا الأصل، أن مجموعَ النتائج الدلالية الناتجة عن الصيغ اللغوية في نص الانطلاق هي النتائج اللازمة عن صيغ نص الوصول نفسها. فالعلاقة التي تقرن

---

[5]- Susan Bassnett Mcguire, **translation studies**, new allents, 1980, p 39

[6]- ابن منظور، **لسان العرب**، إعداد وتصنيف يوسف خياط، باب التاء، المجلد الأول، ص 6

[7]- نجد نفس المشكل في تعاريف الترجمة، فيقال:

Traduire c'est faire passer un texte d'une langue à une autre.

[8]- **منطق أرسطو**، تحقيق وتقديم عبد الرحمن بدوي، بيروت، دار القلم، ط1، ص 38

[9]- المرجع نفسه، الجزء الأول، التصدير العام للكتاب.

[10]- نجد أحيانا أن traduction = transfert

المترجم عنه والمترجم به هي علاقة الاستتباع التبادلي[11] التي تجعل الناقل يعتقد أن العبارتين الأصلية والمترجمة يحملان المعنى نفسه والقيم الصدقية نفسها، فإذا صدقت أو كذبت إحداهما كانت الأخرى كذلك؛ بمعنى أن الناقل يسلم بوجود موضوع يرحل من المترجم عنه إلى المترجم إليه، ويكون وحيدًا ومساويًا له في العالمين.[12]

ولمَّا كان مسار الترجمة يقتضي فهم المعنى[13] في المنظوم الأصلي وتفهيمه في النص المترجَم، فإن المعنى الذي يفهمه الناقل هو المعنى المطابق والحقيقي الذي يدل عليه ظاهر اللفظ من غير زيادة ولا نقصان[14] **(14)**؛ أي المعنى الذي يمكن تصويره وتقويمه بالشروط الصدقية. كما أن تفهيمه للمعنى؛ أي نقله في النص المترجم، يتميز بالظهور والسطحية. ولذلك، يمكن تسميته بالنقل بالترجمة الصريحة أو السطحية التي تقترب من مدلول الترجمة الحرفية.[15]

فالترجمة الناقلة تعني نقل المعاني الظاهرة من نص الانطلاق ومماثلتها بالمكافئ الدلالي البين في نص الوصول، إذ يمكن للقارئ أن ينتقل إلى المعنى نفسه سواء باللفظ الأصلي أو المترجم استنادًا إلى علاقة اللزوم البيّن بالمعنى الأخص. وهذا الشكلُ من الترجمة التناظرية أو النقل اتخذ في ممارسة الترجمة العربية الإسلامية شكلين:

- ❖ التناظرُ التصوري الذي يكافئ بين ألفاظ النص الأصلي والنص المترجم من حيث المعاني المعجمية.
- ❖ التناظرُ التصديقي الذي يكافئ بين المعنى الصريح للجمل المنقولة من نص الانطلاق إلى نص الوصول.

هذا التناظر الظاهر هو ما أشار إليه أحد النقلة في آخر المقالة الثانية من كتاب "الجدل"، إذ يقول: "في هذه المقالة مواضع يسيرة ترجمتها على ما أوجبه ظاهر لفظها، ولم يصح لنا معناها".[16]

---

[11]- Richard, implications sémantiques dans les langues naturelles, édition de C. N, p 21

[12]- Kemeney, perpposition and the delimitation of semantics, p 14

[13]- Daniel reig, Les mirages de la traduction automatique, turjoman, V2, N1, Avril 1993

[14]- فاخوري، عادل، **علم الدلالة عند العرب**، بيروت، دار الطليعة، ط1، 1985، ص 18

[15]- القزويني، نجم الدين، **تحرير الرسالة الشمسية**، مطبعة الحلبي، ط2، 1946، ص 52

[16]- يقترب الأول من lexical translation والثاني من propositional equivalence

إن اعتماد النقلة على النقل أو هذه الترجمة التناظرية نتج عنه سوء الفهم والتفهيم اللذين أديا إلى سقمٍ في العبارة ونِقلة[17]، بكسر النون، في المفاهيم؛ أي غربتها، في الفكر العربي الإسلامي. وإذا صح أن النقلَ سبب في جريان هذا الحكم على بعض الترجمات العربية للأورغانون الأرسطي، فإن ثمة عناصر أخرى ساهمت في لبس العبارة وإبهامٍ في المعنى. وهذه العناصر، إما متعلقة بالمنقول عنه أو المنقول إليه أو النقلة.

1.1- المنقول عنه:

إضافة إلى تنوع موضوع المنقول، من طب وفلك ومنطق وغيرها من علوم، واختلاف المنقول عنهم، من أفلاطون وأرسطو وغيرهما، فإن مشكلة الأصل ساهمت في وقوع أخطاء وعيوب الترجمة إلى العربية، فالكتب اليونانية لم تصلْ إلى العرب في نصها، وإنما وصلت إليهم شروحًا وحواشي تتفاوت في قدرتها على فهم النص واستيعابه[18]. فالنقل لم يكن من النص الأصلي، بل من الدستور الأصلي، من الترجمة الأولى للنص الأصلي.[19]

والحقّ أن النقلَ من غير لغة الأصل قد خالف مقتضيات الترجمة عامة. فـ"الترجمة من لغة يونان إلى السريالية ومن السريالية إلى العربية، قد أخلت بخواص المعاني في أبدان الحقائق إخلالاً لا يخفى على أحد، ولو كانت معاني يونان تجس في أنفس العرب مع بيانها الرائع وتصرفها الواسع لوصلت الحكمة صافية بلا شوب وكاملة بلا نقص."[20] إضافة إلى مشكلة الأصل، فإن اعتماد النقلة على النسخ المختلفة ساهم في الإخلال بالمعنى والنظم، لأنه "إذا كان من الصعب إدراك المقصود والمراد بالكلام في النص الأصلي، فكيف بكتاب قد تداولته اللغات واختلاف الأقلام وأجناس خطوط الملل والنحل".[21]

1.2- النقلة:

لقد عرف الفكرُ العربي الإسلامي أصنافًا من النقلة؛ منهم الناقل المباشر، والناقل عن الناقل، والناقل عن نقل ناقل، والناقل عن الناسخ...إلخ، والحق أن اختلاف زمن مباشرة هؤلاء النقلة للترجمة، واختلاف مترجمي كتب أرسطو، فلا نجد مترجمًا واحدًا، وكون النقلة من غير المتخصصين؛ أي على غير ذي صلة بالموضوع

---

[17]- **منطق أرسطو**، الجزء الأول، ص 29

[18]- لسان العرب لابن منظور، مادة نقل.

[19]- مرحبا، عبد الرحمن، **من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية**، بيروت، منشورات عويدات، 1981، ص 295

[20]- **منطق أرسطو**، الجزء الأول، ص 14

[21]- التوحيدي، أبو حيان، **المقابسات**، المقابسة 63

المنقول، إضافة إلى كون النقلة مترجمين محترفين مأجورين، كل ذلك نتج عنه قلق على مستوى الأسلوب، وغموض في العبارة، وإبهام في المعنى، وهي صفات وسمت النقل الأول لمكونات الأورغانون إلى العربية، لأن النقلة فيهم المرضي النقل والضعيف الحفظ ومشوه الترجمة.[22]

1.3- المنقول إليه:

إن ازدواج مشكلة الأصل بمسألة اختلاف الترجمات ولّد مفاهيم معربة، نذكر منها: أنالوطيقا، جياليقطيقا، سلجسموس، أبوديقطيقا...إلخ، كما نتج عنها عبارات تختلف من حيث تركيبها ومعناها، ومنها ما نجده مثلاً في كتاب السفسطة، من مثل[23]: "أما التبكيات السوفسطاية، وهذه بزي تبكيتات، وهي تظليلات لا تبكيتات، فنقول مبتدئين من الأوائل كالطبيعة" (نقل زكريا بن يحيى من السرياني بنقل أثاس من اليوناني).

وعليه، فالنقل يستلزم المفهوم النقيل، الغريب، والعبارة السقيمة ويفضي أحيانًا إلى اللغو، ولذلك توجه له الاعتراضات التالية:

- إن استناد النقل على مبدأ التكافؤ الدلالي الصوري يقصي ذات المترجم إقصاءً مجردًا يمكن استبداله بآلة مجردة[24] تجعل من الترجمة عملية آلية[25] يعدم فيها اجتهاد المترجم.

- لما كان الناقل يترجم المعنى الظاهر، فإن للمعنى مراتب ووجوه، فالألفاظ في علاقتها بالمعنى، إما متباينة أو مجملة أو مترادفة، كما أن الأقوال ليس لها معنى مجرد، بل تدل على المعنى بصيغتها ومنظومها أو بفحواها ومفهومها أو بمعقولها ومعناها المستنبط.[26]

- ليست الترجمة معرفة لغوية مجردة، وإن أمكن أن يصدق النقل على الخطاب الطبيعي العادي، فإنه لا يصح بالنسبة لنصوص نظرية تجرد اللغة الطبيعية، كما هو الأمر بالنسبة للمنطق الصوري.

- إن سطحية الفهم في الترجمة الناقلة ينتج عنه التعريب[27] ؛ أي خلق لغة بين لغة مقررة عند أهلها العرب.

---

[22]- الجاحظ، أبو عثمان، **الحيوان**، شرح وتحقيق يحيى الشامي، منشورات الهلال، ج1، ص 51

[23]- التوحيدي، أبو حيان، **الإمتاع والمؤانسة**، بيروت، منشورات المكتبة العربية، ص ص 33-37

[24]- كتاب السفسطة، ضمن منطق أرسطو، ج3، ص 773

[25]- طه، عبد الرحمن، **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام**، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، ط1، 1987، ص 57

[26]- مثل: la traduction automatique

هكذا، فالوعي بسقم وضعف ترجمات النقلة نتج عنه، في المجال التداولي العربي الإسلامي، مرتبة ثانية للترجمة اصطلح عليها التقريب.

2- التـقـريـب:

يقصد بالتقريب في مراتب الترجمة العربية الإسلامية معنيين؛ أولهما التدقيق وعدم التسرع في ممارسة هذه العملية، وثانيهما إيجاد المعاني التي تقرب الأصل وتجعله مرتبطاً باللغة المنقول إليها؛ أي متصفًا برابطة القرابة[28] مع عناصر بنية اللغة العربية. بمعنى أن المترجم المقرب يحاول أن يخلق للمفاهيم المترجمة مكانًا في بنية اللسان العربي الذي هو أسرة لغوية مخالفة للغة المترجم عنها، وهي اليونانية والسريالية في مقام هذا القول.

وينطلق المقرب من التصديق بأن "كثيرًا من الترجمة لا يأتي بحقيقة المعنى التي في تلك اللغة المترجم عنها، بل بما يقاربه، لأن تلك المعاني ربما لا تكون لها في اللغة الأخرى ألفاظًا تطابقها على الحقيقة"، وينطبق هذا القول على لغة العرب التي هي في الغالب لغة تقريب[29] وليست لغة تطابق. وبخلاف الناقل الذي يسلم بالتكافؤ، فإن المقرب، في ترجمته، يعتقد أن "الترجمان لا يؤدي أبدًا ما قاله الحكيم، على خصائص معانيه، وحقائق مذاهبه، ودقائق اختصاراته، وخفيان حدوده، ولا يقدر أن يوفيها حقوقها، ويؤدي الأمانة فيها، ويقوم بما يلزم الوكيل."[30] ولكي تتحقق الترجمة التقريبية لابد أن يتحقق في المقرب شرطان:

- شرط الضرورة: ومقتضاه أن يكون المترجم أعلم الناس باللغتين، التي يترجم منها، والتي يترجم إليها، بمعنى أن يتصف بكفاءة الخلق الدلالي[31] داخل اللغة التي يترجم إليها.

- شرط الكفاية: ويقتضي من المترجم أن يكون عالمًا بالموضوعات التي يترجمها وبالمفاهيم التي يقربها، أي أن يتصف بكفاية العلم.

---

[27]- يقال التعريب هو أحسن حل في الترجمة، انظر:

- Retour à la traduction, in le français dans le monde,Aoûte-septembre, 1987, p 36

[28]- الغزالي، أبو حامد، **المستصفى من علم أصول الفقه**، ص 64

[29]- لسان العرب لابن منظور، مادة قرب.

[30]- ابن تيمية، تقي الدين، **كتاب الرد على المنطقيين**، ص 86

[31]- الجاحظ، أبو عثمان، كتاب الحيوان، ص 52

ومعلوم أن المقرب يستند في استدلاله إلى منهج السبر والتقسيم، أو بلغة الرياضيات دالة تقابل واحد بكثير؛ فالمترجم يفصل بين مجموع المعاني التي يمكن أن تقرب الأصل بالتدرج على سلم المراتب؛ من القريب إلى الأقرب. فإذا كانت العبارة أو المفهوم المراد ترجمته هو(ع)، فإن المقرب يحدد مجموعة من الصيغ اللغوية في اللغة العربية ويختار منها واحدًا يكون هو الأقرب إلى الأصل؛ أي من بين المعاني (س1أوس2أوس3) يختار مثلا (س2) بمقتضى معيار القرب إلى الأصل.

أما الاستدلال في التقريب، فيستند إلى قياس التمثيل ويتأسس على علاقة التشابه بين طريقة بناء المفهوم الأصلي والمفهوم المترجم، ومثال ذلك ما لجأ إليه العرب في ترجمة بعض المفاهيم الفلسفية: "على أهل الفلسفة أن ينظروا إلى الألفاظ التي كانت الأمة الأولى تعبر بها عن معاني الفلسفة، ويعرفوا عن أي معنى من المعاني المشتركة معرفتها عند الأمتين هي منقولة عند الأمة الأولى. فإذا عرفوا أخذوا من ألفاظ أمتهم الألفاظ التي كانوا يعبرون بها عن تلك المعاني بأعيانها، فيجعلونها أسماء لتلك المعاني من معاني الفلسفة".[32]

لقد اتخذ التقريب في الترجمة العربية الإسلامية مستويات مختلفة، نذكر منها:

2.1- التـــحـــقـــيـــق: ومنه الإصلاح والتصحيح الذي يتم بمقابلة النص المترجم بترجماته المختلفة، ومن مختلف الألسن، والغرض من ذلك هو إيجاد التوافق في الاصطلاح وتسوية المختلف من اللفظ. وهذا نهج سلكه عديد من المترجمين، فنجد في خواتم عديد من ترجمات الأورغانون الأرسطي ما يدل على هذا التحقيق، من مثل: "نسخت هذه النسخة من نسخة عربية. ومما أجده فيها مما أشك فيه كنت أرجع فيه إلى نسخة سريانية صحيحة وانظر ما يجب أن أصلحه وأثبته، مصلحًا هذه النسخة." كما نجد أيضًا: "النسخة التي صححها الحسن ابن سوار من نسخ نظر فيها أبي بشر متى، فرجع بالخلاف في النسخ إلى السرياني وأصلحه على ما أوجبته النسخ السريانية." وسعيًا وراء هذا التقريب، نجد أن النسخة الواحدة تجمع ترجمات مختلفة، ذلك ما يؤكده أحد النقلة بقوله: "لأننا أحببنا الوقوف على ما وقع لكل واحد منهم، جميع هذه النقول التي وقعت إلينا ليقع التأمل لكل واحد منهما، ويستعان ببعضها البعض في إدراك المعنى".[33]

2.2- التـــبـــيـــيـــن: ويعتبر صنفًا من الترجمة حسب تعريف المعاجم العربية التي تحد الترجمة بأنها التفسير بلسان آخر[34]، وتعتبر المترجم هو المفسر اللسان أو المبين الكلام[35]. والتبيين هو إخراج المفاهيم

---

[32]- Retour à la traduction, op-cit, p 35

[33]- الفارابي، أبو نصر، **كتاب الحروف**، تحقيق محسن مهدي، بيروت، دار المشرق، ص 97

[34]- منطق أرسطو، ص 29

[35]- الشيخ، أحمد رضا، **معجم متن اللغة**، المجلد الأول، ص 390

المترجمة على مقتضى البيان العربي، وذلك بشرح المستغلق من العبارة ورفع المستغرب من المفاهيم، سيرًا على مقتضيات لسان العرب وعلى المألوف من اصطلاحهم[36]. ويدخل في هذا الباب الشرح وشرح الشرح وشرح شرح الشرح والتلخيص وتلخيص التلخيص والحواشي والتعليقات التي لجأ إليها المفكرون القدامى بعد أن فهموا أرسطو من خلال تلاميذه وبالاحتكاك بالإنتاج الرواقي.

2.3- التحديد: وهو حد الشيء إما بما هو ذاتي أو عرضي أو لازم مقوم. ويعتبر هذا الصنف من التقريب من أشكل المسائل التي تناظر حولها القدامى واختلفوا فيها[37]. والتحديد قد يكون داخل نفس اللغو، وهو التقريب الذاتي[38]، وقد يكون متعلقًا بتحديد مفاهيم من لغة أخرى، إذا سأل السائل فيها عن اسم في غير لغته، مثل العربي إذا سأل عن معاني الأسماء الأعجمية، وكان مقصده تحديد مسماه فذلك هو الترجمة[39] بمعنى التقريب. واختصارًا، فإن التقريب يتحقق بالانتقال عبر ثلاث مراحل:

أ - فهم المعنى الأصلي للنص.

ب - التحييد، أي نسيان الكلمات والجمل التي ولدت المعنى الأصلي.

ج - التقريب، وهو التعبير عن المعنى الأصلي بما يقابله في نص الوصول.[40]

لكن، إذا كان التقريب يمكّن من تجاوز العيوب التي يستلزمها النقل، فإن ثمة بعض الاعتراضات عليه منها:

- أن التقريب يبقى مرتبطًا بالنص الأصلي، فهو يحاول فهم وتفهيم المعنى الأصلي بعبارة أقل غموضًا، لكنه ليس كافٍ في إنجاح المسار التوليدي الذي هو خاصية الترجمة التقويمية.

- هذا الصنف من الترجمة لا يرقى إلى استثمار المفاهيم، رغم محاولاته حدها.

- المقرب يبقى هدفه البحث عن التكافؤ المتعلق بالإحالة. هذا التكافؤ يمكنه، في نظره، أن يجسد الاتساق الدلالي[41] للنص الأصلي في علاقته مع النص المترجم.

---

[36]- لسان العرب، نفسه، مادة قرب

[37]- طه، عبد الرحمن، علوم الآلة وتكامل التراث، ندوة ابن باديس، 22 و23 ماي 1989، غير منشور.

[38]- الغزالي، المرجع السابق نفسه.

[39]- يقارب معنى: traduction intralinguale

[40]- ابن تيمية، تقي الدين، نفس المرجع، ص 48

[41]- تذكر هذه المراحل بالمسار التأويلي في الترجمة المعاصرة

- يبقى المترجم المقرب دائما وسيطًا بين مؤلف يريد أن يوصل وقارئ يريد أن يتصل.

اعتبارًا لهذه الاعتراضات ننتقل إلى المرتبة الثالثة من سلمية الترجمة العربية الإسلامية:

3- التأسيس:

إذا كان الضابط في عملية النقل هو مبدأ التكافؤ الدلالي الصوري، وكان المعتبر في التقريب هو تكافؤ الإحالة، فإن الترجمة التأسيسية[42] تفترض أن علاقة النص الأصلي بالمترجم هي التمايز التداولي. وبذلك، فإن الترجمة ليست علاقة ثنائية أو ثلاثية بين مجموعات لغوية مجردة، ولكنها عملية موجهة تداوليًا، لا بد أن يعرف المترجم فيها أبنية الكلام وعادات القوم وأسباب تفاهمهم.[43]

وعليه، فإن مدلول الترجمة التأسيسية يتجاوز الدعاوى التي ترى أن الترجمة العربية هي جعل النصوص الأصلية تتكلم العربية بإتقان النقل أو التقريب، فالترجمة بمعنى التأسيس هي التركيز على التفاعل مع النص والتحاور معه استنادًا إلى المقام التواصلي الذي تتم فيه عملية الترجمة. وإن التوجه التداولي للترجمة العربية الإسلامية يتمثل في استجابتها لجملة المبادئ اللغوية والعقدية والعلمية العامة التي يقوم بها الفكر العربي الإسلامي، ويتميز بها عن سواه من أصناف المعرفة غير العربية وغير الإسلامية[44]. ولهذا، فالترجمة التأسيسية ليست عملية آلية، بل عملاً موجهًا بمسائل فكرية، ومحكوم بإشكاليات عامة منها: ماذا نترجم؟ ولمَ نترجم؟ ولمن نترجم؟ وماذا نستفيد من الترجمة؟ هذه الأسئلة هي التي جعلت الترجمة التي نطلق عليها تأسيسًا تستجيب لقواعد المجال التداولي العربي الإسلامي، ومن هذه القواعد نذكر:

- القاعدة اللغوية: أي التسليم بغنى اللغة العربية وبقدرتها البلاغية والتبليغية.

- القاعدة العقدية: ألّا يتنافى المترجم مع صحة العقيدة الإسلامية.

- القاعدة العقلية: أي أن فعل الترجمة ليس فقط فهم النص وتفهيمه، ولكنه إنتاج قضايا فكرية تضاهي في إحكامها ومضامينها النص الأصلي ذاته.

---

[42]- la consistance sémantique.

[43]- يقال الترجمة إبداع أ إنتاج أو اجتهاد أو تأليف، وكلها معاني تفيد التأسيس.

[44]- الجاحظ، أبو عثمان، **كتاب الحيوان**، ص 52

تلخص لنا هذه القواعد الشروط التي يجب توفرها في المترجم المؤسس، وهي: شرط المعرفة، وشرط العلم، وشرط العمل. ويمكن القول، إن استجابة الترجمة بمعنى التأسيس لمقتضيات المجال التداولي العربي الإسلامي نتج عنه قضايا هذا الفكر، إذ إن بعض القضايا والمسائل المنطقية المترجمة أعطيت لها دلالات جديدة، وتولدت منها قضايا لم تدركها النصوص الأصلية.

وحاصل ما سبق أن الترجمة العربية الإسلامية لها مراتب تصنف على سلم، من هذه المراتب: النقل الذي يستلزم التحريف، والتأسيس الذي هو الترجمة التقويمية، والتقريب الذي هو بمثابة المقتضى بالنسبة للترجمة التأسيسية. وإذا نظرنا إلى الترجمة العربية الإسلامية، انطلاقًا من نظرية أغراض الكلام[45]، التي تقول إن الأقوال ليس لها ظاهر فقط، ولكنها تضمر معاني استلزامية، فإننا نستنتج ما يلي:

1- إن النظر في الترجمة العربية الإسلامية تراوح بين رأي العامة النقلة، ورأي الخاصة المؤسسين.

2- إن ارتباط الترجمة بالمؤسسة، أقصد بيت الحكمة، يعني أن العملية لم تكن عملاً فرديًا ولكنها كانت عملاً تعاونيًا مسؤولاً. مشروع تتداخل في إنجاحه أطراف متكاملة؛ الناقل، والمحقق، والمبيّن، والمحدّد والمؤسّس...إلخ، حتى إن الناسخ لم يكن دوره آليًا، ولكنه كان يحاول إيجاد الترجمة القريبة.

3- لم تكن الترجمة عملية نهائية، بل عملية متجددة. هذا ما يدل عليه تعدد الترجمات واختلاف طبقة المترجمين، وإعادة المؤلف الواحد بعد مرور سنوات على ترجمته الأولى. هذا ما يصرح به أحد المترجمين بقوله: "ثم إني ترجمته، كتاب جالينوس، وأنا من أبناء عشرين سنة. وبعد أن اجتمعت عندي عدة نسخ يونانية، قابلت بعض البعض... وأنا من أبناء أربعين سنة أو نحوها".[46]

4- لقد تميزت الترجمة العربية الإسلامية بمجموعة من الآداب، منها الاعتراف باصطلاح الغير، واعتراف المترجمين بصعوبة إدراكهم للمعنى كلما حصل لهم ذلك.

5- إن هذه الترجمة لم تكن ممكنة إلا من خلال الإنتاج الفلسفي والمنطقي. ومن هنا، فإن الموقف من الفلسفة العربية الإسلامية لا يفهم إلا من خلال مراتب هذه الترجمة؛ فرفض بعض المفكرين القدامى لبعض القضايا الفلسفية هو رفض لنقل هذه المفاهيم كما هي دون مراعاة قواعد المجال التداولي العربي الإسلامي.

[45]- طه، عبد الرحمن، مشروعية علم المنطق، **مجلة المناظرة**، العدد الأول، يونيو 1989، ص 115

[46]- Searle, John, sens et expression, édition de minuit, p 72

6- إن إبطال الدعاوى الاستشرافية حول أصالة الفلسفة العربية الإسلامية، لابد أن يستند إلى نظرية مراتب الترجمة في الفكر العربي الإسلامي، ذلك أنه إذا كانت الفلسفة العربية الإسلامية، ومنها المنطق، مرت عبر الترجمة، فإن كون هذه الأخيرة ليست نقلاً أو تقريبا فحسب، بل هو ما يدل على جوانب الجدة في الإنتاج العربي الإسلامي.

7- إن الدعوةَ إلى الترجمة، كما نفهم من حلم المأمون، لا يعني أن العملية كانت مرفوضة مطلقًا في الفكر العربي الإسلامي؛ فحتى البعض ممن صرح برفضها كان يقصد رفض مرتبة من مراتبها، المرتبة التي لا تستجيب لمقتضيات المجال التداولي العربي الإسلامي على وجه الخصوص. هذا ما يتضح من خلال قراءة المناظرة التي وقعت بين أبي سعيد السيرفي النحوي ومتى بن يونس المنطقي. فملاحظات السيرفي النحوي على متى المنطقي تركزت حول كون هذا الأخير يجهل اللغة التي يدعو بها إلى حكمة اليونان، ويستخدم عبارات غير جارية على مقتضيات اللسان العربي، مثل الهلية، والإنية واللسية... إلخ.[47]

وختامًا، يمكن القول إن ارتباط الكلام عن مراتب الترجمة العربية الإسلامية بمقام واقع الترجمة المعاصرة وآفاقها يتولد عنه التساؤل التالي: في أي موقع يمكن أن يضع العرب المسلمين أنفسهم بالنسبة للترجمة في المجال التداولي العربي الإسلامي؟ وهذا السؤال يضمر مسألتين جزئيتين؛ هما:

أ – كيف تعامل المعاصرون مع تجربة الترجمة العربية الإسلامية؟

ب – ما هي الفائدة المتحصّل عليها من تلك التجربة؟

هذه الأسئلة وما يتفرع عنها كفيلة بأن ترسم بعض آفاق الترجمة العربية المعاصرة في زمن الحاجة إلى الترجمة جسرًا للانفتاح على فكر الآخر.

[47]- حنين بن إسحاق، مأخوذ من كتاب **"من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية"**، مرجع سابق ذكره، ص 316

MominounWithoutBorders

@ Mominoun_sm

Mominoun

الرباط – المملكة المغربية

ص.ب : 10569

هـاتـف: 00212537779954

فاكس: 00212537778827

info@mominoun.com

www.mominoun.com